المحاضرة (04): النظريات المفسرة للسلوك الاجرامي 2: النظريات المعرفية السلوكية (نظريات التعلم– النظريات المعرفية)

إجمالا تركز النظريات المعرفية السلوكية على كيف يؤثر التعلم و المعرفة في تشكيل السلوك الإجرامي. وتعتبر البيئة الاجتماعية و التجارب و المعتقدات الفردية عوامل مؤثرة في تفسير السلوك الإجرامي.

- المدرسة السلوكية Behaviorism

تسمى النظرية السلوكية باسم المثير والاستجابة وتعرف كذلك باسم (نظرية التعلم)، والاهتمام الرئيسي للنظرية السلوكية هو السلوك: كيف يتعلم وكيف يتغير.

الفرضيات التي ترتكز عليها النظرية السلوكية:

– معظم سلوك الإنسان متعلم ومكتسب سواء كان السلوك سوياً أو مضطرب.

– السلوك المضطرب المتعلم لا يختلف من حيث المبادئ عن السلوك العادي المتعلم إلا أن السلوك المضطرب غير متوافق

–السلوك المضطرب يتعلمه الفرد نتيجة للتعرض المتكرر للخبرات التي تؤدى إلى حدوثه.

–ارتباط شرطي بين تلك الخبرات وبين السلوك المضطرب.

–جملة الأعراض النفسية تعتبر تجمعاً لعادات سلوكية خاطئة متعلمة.

– السلوك المتعلم يمكن تعديله.

ويرى هذا الاتجاه أن الاضطراب السلوكي هو سلوك متعلم يتعلمه الفرد من البيئة التي يعيش فيها، والفرد عندما يتعلم السلوكيات الخاطئة والشاذة إنما يتعلمها من محيطها الاجتماعي عن طريق التعزيز و النمذجة وتشكيل وتسلسل السلوكيات غير المناسبة.

وقد توصل علماء الاتجاه السلوكي إلى تفسير مفاده أن الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية بما فيها الجريمة ما هي إلا عادات تعلمها الإنسان ليقلل من درجة توتره ومن شدة الدافعية لديه، وبالتالي كون ارتباطات منعكسة شرطية لكن تلك الارتباطات الشرطية حدثت بشكل خاطئ وبشكل مرضى.

المدرسة المعرفية Cognitive School أو :Cognitive Psychology

تقوم المدرسة المعرفية على مجموعة من المبادئ نوجزها في ما يلي:

– السلوك عند المعرفيين نشاط قصدي.

– تعتبر الكائن البشري نظام مركب لتجهيز المعلومات ومعالجتها وحفظها واسترجاعها

– تؤكد على أن العمليات العقلية الإنسانية تفهم في إطار سياق (نسق) يتكون من مدخلات ، معالجة ومخرجات .

–التركيز على فهم أنشطة العقل البشري.

– محاولة وصف ظاهرة معرفية معينة مثل كيف يدرك الناس الوجوه، كيف يطورون الخبرة والمعرفة ويعملون على تنمية القدرات المختلفة

– البحث عن طرق ووسائل تمكن شرح المعرفة ووصفها بالانتقال مما هو ملاحظ إلى ما يمكن استنتاجه من الملاحظات.

– البنى العقلية للطفل تتطور وتتغير بفعل عامل الخبرة

–هناك مراحل نمانية للعمليات المعرفية حسب العمر.

–النمو المعرفي هو أهم مرتكزات الأداء المرتبطة بالمراحل النمائية للفرد.

و يمكن القول أن الاتجاه المعرفي في علم النفس أصبح يحتل مكانة مرموقة في الكتب و الدراسات السيكولوجية الحديثة، على اعتبار أن هذا الاتجاه نشأ كرد فعل مباشر لما يسمى بسيكولوجية المثير و الاستجابة من اعتقاد المعرفيين بعدم جودة هذه السيكولوجية لدراسة السلوك المعقد. لهذا ظهر الاتجاه المعرفي كرد فعل على الاتجاه السلوكي إلا أنه لا ينفيه، بل أعطوا مفاهيم معرفية جديدة تسهم في فهم الإنسان كفرد حيوي نشط يستجيب لمثيرات البيئة، من خلال تمرير المعلومات التي يتلقاها ويقوم على تحليلها وتفسيرها وتأويلها إلى أشكال معرفية جديدة تساهم في عملية التعلم لديه.

فتبعا لهذه النظرية، السلوك الإجرامي ينتج من خلال الطريقة التي ينظم بها الأفراد أفكارهم حول الأخلاق والقوانين و النظم السائدة.

و في هذا السياق يرى كل من فلين والترز Walter L. Walters وتوماس وايت Thomas White أن علم الجريمة قد أهمل الجانب أو البعد الإدراكي والمعرفي في الشخص ، فكلاهما قد أشار إلى أن الجريمة والانحراف ينتجان عن التفكير غير العقلاني وليس للعوامل الاجتماعية والاقتصادية دور مهم سوى الحد من الخيارات الفردية المتاح ة.

و ينتقدان النظريات التقليدية التي أغفلت الأبعاد المعرفية و الإدراكية في تفسير السلوك الاجرامي.

فالنظرية المعرفية – السلوكية من النظريات الحديثة في مجال علم النفس بصفة عامة، وفي مجال العلاج النفسي بصفة خاصة، حيث بدأ الاهتمام بالاتجاه المعرفي السلوكي مع بداية النصف الأخير من القرن العشرين.

و هناك العديد من النماذج العلاجية في المقاربة المعرفية السلوكية، إلا أن أشهرها:

-التصورات الشخصية لكيلي.Kelly

-العلاج العقلاني الانفعالي لإليس.Ellis

-العلاج المعرفي لبيك.Beck

-أسلوب حل المشكلات عند جولد فريد وجولد فريد.Goldfred & Goldfred

-تعديل السلوك المعرفي عند ميكنباومMeichenbaum

و هذه المقاربة مرحلة من مراحل تطور المدرسة السلوكية بعد مرحلتي التعلم السلوك الشرطي نتيجة لأبحاث واطسن و التعلم الشرطي الإجرائي على يد العالم الأمريكي سكينر (Skinner). و تسمى مرحلة السلوكي المعرفي ومن العلماء الذين أسهموا في تطوير هذا الاتجاه (وولب , وإليس ولازروس) ففي هذه المرحلة تم اخذ المفاهيم التي يتوسط حدوثها وتأثيرها بين المثير والاستجابة في الاعتبار فهذه امتداد للمرحلتين السابقتين ولا تتعارض معهما ولكن ينصب تركيزها على العوامل المعرفية للسلوك التي عن طريقها يتم فهم وعلاج المشكلات السلوكية . ثم تل ي ذلك *مرحلة التعلم الاجتماعي أو التعلم عن طريق*

الملاحظة والتقليد على يد (باندورا Bandura) وزملائه حيث توصلوا إلى أن تعلم السلوك عن طريق ملاحظته لنموذج لذلك السلوك المراد تعلمه لدى شخص أخر أو ما يسمى بالنموذج. وتوصل إلى تحديد المصادر التي تعلم السلوكات الإجرامية و هي:

- يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من عائلته .
- يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من محيطه المباشر (الرفاق،الحضانة،المدرسة)
- يمكن أن يتعلم الطفل الإجرام من وسائل الإعلام .

Les approches en psychothérapie

Le domaine de la psychothérapie comprend plusieurs approches ou théories.

Ces croyances et pratiques concernent le fonctionnement humain, son développement normal et pathologique.

Et chaque approche propose ses méthodes pour aider une personne en difficulté à changer.

Les principales approches en psychothérapie sont l'approche psychanalytique, l'approche cognitivo comportementale(TCC) l'approche humaniste et l'approche systémique.

Le choix de l'approche ou des approches auxquelles adhère le psychothérapeute aura des implications sur la façon dont il va intervenir avec son client.

Croyances et postulats de l'approche cognitivo comportementale

L'approche cognitivo comportementale(TCC) suppose que les problèmes psychopathologiques sont des comportements appris.

Les troubles psychologiques se manifestent par des pensées (cognitions) et des comportements inadaptés ou dysfonctionnels.

Dans l'approche cognitivo comportementale, le psychologue vise d'abord à bien analyser et ensuite à modifier ces habitudes dysfonctionnelles.

Dans cette approche thérapeutique on prend en considération le milieu de vie de la personne.

Origines de la composante comportementale de l'approche TCC

L'approche cognitivo comportementale résulte de l'intégration de deux grandes théories en psychothérapie.

Ce sont les approches behaviorale ou comportementale et l'approche cognitive.

Historiquement, nous retrouvons d'abord le behaviorisme développé par John Watson et par B.F. Skinner .

L'approche behaviorale découlant du behaviorisme utilise les principes du conditionnement répondant et du conditionnement opérant.

La thérapie comportementale vise à modifier les comportements observables problématiques du client.

Origines de la composante cognitive de l'approche TCC

C'est dans les années 70 que s'est développé le courant cognitiviste en psychothérapie.

Il y eut d'abord la thérapie émotivo rationnelle développée par Albert Ellis.

Aaron Beck et son équipe ont ensuite développé et popularisé la thérapie cognitive proprement dite.

Ils l'ont appliqué à une multitude de problématiques psychiatriques et ont démontré son efficacité.

Ces deux types de psychothérapie ont mis l'accent sur le rôle primordial des distorsions cognitives dans la psychopathologie.

L'approche cognitive s'attaque à identifier et remplacer les cognitions dysfonctionnelles par des pensées et croyances justes.in :

www.cogicor.com/approche-cognitivo-comportementale

و يمكن تقسيم النظريات المعرفية السلوكية إلى نوعين رئيسيين: نظريات التعلم و النظريات المعرفية.

***نظريات التعلم Learning Theories :** تركز هذه النظريات على كيفية اكتساب السلوكيات، بما في ذلك السلوك الإجرامي، من خلال التفاعل مع البيئة أو التجارب الشخصية.

و من هذه النظريات:

نظرية التعلم الاجتماعي (البرت باندورا) Social Learning Theory (Albert Bandura)

و من أفكارها الأساسية:

-التعلم بالملاحظة: الأفراد يتعلمون السلوكيات عن طريق ملاحظة الآخرين وتقليد سلوكهم. هذا يعني أن الفرد قد يتعلم السلوك الإجرامي إذا كان قد شهد أشخاصًا آخرين يتصرفون بهذه الطريقة ونجحوا في تحقيق مكافآت أو فوائد من ذلك.

-النماذج السلوكية: إذا كان الأطفال أو المراهقون يرون نماذج أو قدوات سلوكية إجرامية في أسرهم أو مجتمعاتهم، فمن المحتمل أن يتبنوا هذه السلوكيات ويكررونها مستقبلا.

- التعزيز: يُمكن أن يكون السلوك الإجرامي مدعومًا بالتعزيز الإيجابي مثل : الحصول على عوائد السلوك الاجرامي مثل: المال أو السلطة.أو التعزيز السلبي مثل :الهروب من القلق أو المشاكل.

نظرية الإشراط الاجتماعي (جون واطسون) **Social Conditioning Theory** (John Watson) . و هي امتداد للنظرية السلوكية الكلاسيكية Classical Conditioning Theory و من أفكارها:

- السلوك مكتسب و يتأثر بشكل كبير بالبيئة والظروف الاجتماعية .

-الاستجابات المكافئة: عندما يتلقى الشخص مكافآت للسلوك الإجرامي، يمكن أن يكرر هذا السلوك بسبب التعزيز الاجتماعي الذي يحصل عليه مثل: الانتماء إلى جماعة إجرامية أو الشعور بالقوة والاحترام و خوف الآخرين منه.

نظرية التعلم الشرطي الإجرائي سكينر(B.F. Skinner) Operant Conditioning Theory

و التي ترى أن:- السلوك الإجرامي، مثل أي سلوك آخر، يتم تعلمه من خلال الظروف البيئية و التعزيزات.

- السلوك يتم تقويته أو تخفيفه بناءً على العواقب. إذا أُعطي للفرد مكافأة (مثل المال أو السلطة أو الاحترام) نتيجة السلوك الإجرامي، فإن هذا السلوك سيستمر ويتكرر.

– التعلم من خلال العقاب: إذا كانت هناك عواقب سلبية للسلوك الإجرامي، مثل السجن أو العنف أو العقاب ، قد يتوقف الفرد عن ارتكاب هذا السلوك، ولكن في بعض الحالات قد يؤدي العقاب أيضًا إلى تعزيز مشاعر العدوان أو الانتقام.

النظريات المعرفية Cognitive Theories: تؤمن هذه النظريات بان طريقة تفكير الأفراد و تفسيرهم للعالم و الأحداث تلعب دورًا كبيرًا في تطور سلوكه الإجرامي. فالأشخاص الذين يميلون إلى التفكير بشكل غير عقلاني أو مشوه قد يتبنون سلوكيات إجرامية . و من هذه النظريات نذكر:

– **نظرية التفكير المشوه** (كيفين داوثيت Kevin Dauther) **Cognitive Distortion Theory**

و من أفكارها أن الأشخاص الذين يتبنون أنماط تفكير مشوهة مثل: إلقاء اللوم على الآخرين، أو تبرير السلوكيات الإجرامية هم أكثر عرضة للإجرام.

هذه الأنماط المعرفية قد تتضمن: الاستحقاق أي الشعور بأنهم يستحقون ما يريدونه بغض النظر عن القوانين، الانتقام وتفسير السلوكيات السلبية من الآخرين بشكل يعزز العدوانية.

و التفكير القائم على المكاسب: الجناة قد يبررون سلوكهم الإجرامي بتفسيره على أنه حل و وسيلة لتحقيق أهدافهم مثل المال أو القوة أو السلطة.

نظرية الإحساس بالعدوان (آرون بيك Aaron Beck) Aggression Sensitivity Theory

يعتقد آرون بيك أن الأفراد الذين يعانون من إحساس بعدم العدالة أو الظلم في حياتهم قد يُظهرون سلوكًا إجراميًا. لاعتقادهم بأن العالم لا يعاملهم كما يستحقون، وبالتالي يتخذون قرارات إجرامية للانتقام أو التوازن في حياتهم.

فللأشخاص الذين لديهم معتقدات سلبية حول أنفسهم أو العالم يميلون إلى تكوين تصورات أو تعريفات مشوهة للواقع، مما يؤدي بهم إلى العدوان وارتكاب الجرائم.

و بالاعتماد على المثلث المعرفي (Cognitive Triangle) – هو نموذج نفسي يُستخدم في العلاج المعرفي السلوكي – يمكن تفسير السلوك الاجرامي.

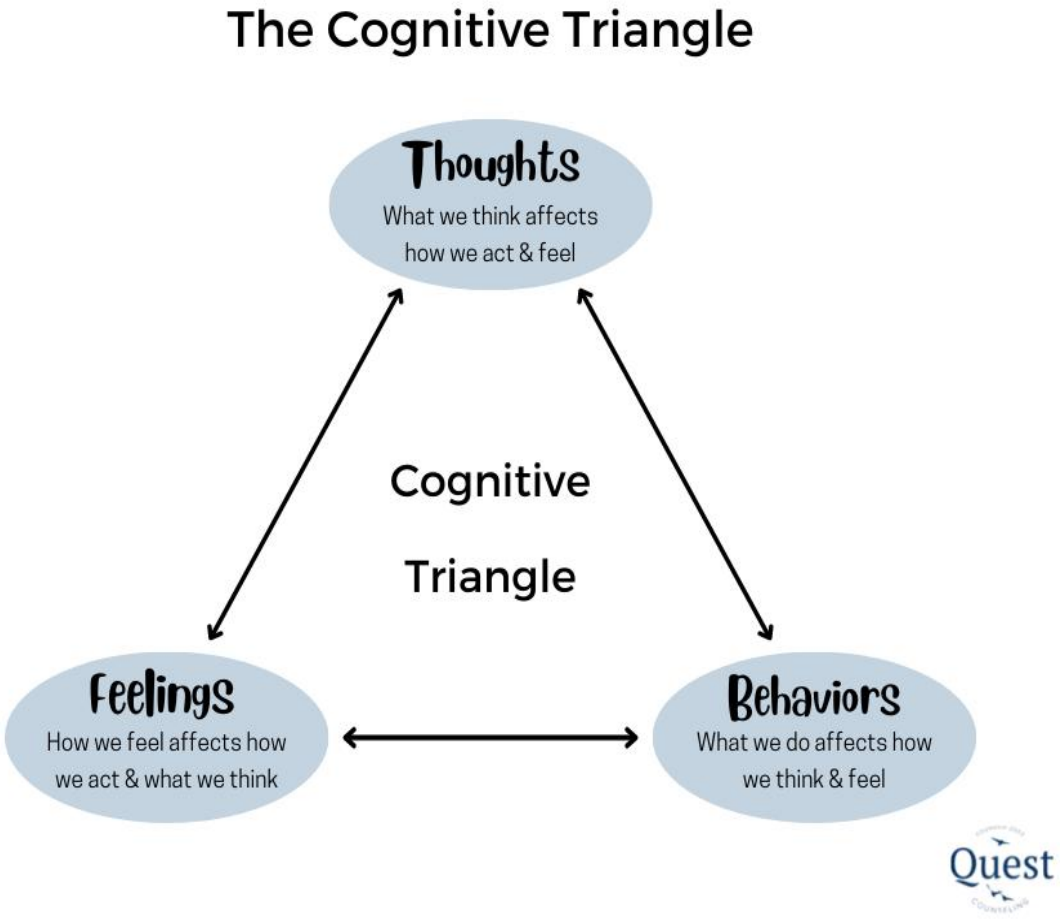

فالعناصر رئيسية المكون له:

*الأفكار Thoughts

*المشاعر أو الانفعالات Feelings/Emotions

*السلوك Behaviors

تؤثر في بعضها البعض؛ فالأفكار يمكن أن تغيّر المشاعر، والمشاعر قد تغيّر السلوك، والسلوك بدوره قد يعزز الأفكار مرة أخرى .

يُستخدم هذا النموذج لمساعدة الأشخاص على فهم أن تغيير طريقة التفكير يمكن أن يساعد في تحسين المشاعر والسلوكيات، ولذلك يُعد من الأدوات الأساسية في العلاج النفسي السلوكي المعرفي.

و نخلص مما سبق أن نظريات التعلم تركز على كيف أن السلوك الإجرامي يتعلم و يكتسب عبر التفاعل مع البيئة من خلال ملاحظة نماذج سلوكية أو من خلال التعزيزات والعقوبات.

أما النظريات المعرفية تركز على كيفية تأثير التفكير المشوه أو المعتقدات الغير عقلانية في تطور السلوك الإجرامي. فللأشخاص الذين يتبنون تفكير مشوه أو غير عقلاني أو استراتيجيات غير فعالة للتعامل مع التوترات قد يكونون أكثر عرضة لاتخاذ سلوكيات إجرامية.

فالاتجاه المعرفي السلوكي بشكل عام يرى أن السلوك الإجرامي ليس فطريًا وإنما مكتسبًا من خلال التجربة الشخصية و التفسير الذاتي للأحداث، و التفاعل مع البيئة.